

دلائل الإعجاز

بسم الله الرحمن الرحيم .

فصل في أهمية السياق للمعنى .

ما أظنُّ بكَ أيها القارئ لكتابنا إن كنتَ وفَّيتَه حقَّه من النظرِ وتدبُّرتهِ
حقَّ التدبُّرِ إلاَّ أنكَ قد علمتَ علماً أبيضاً أن يكون للشكِّ فيه نصيبٌ وللتوقفِ نحوكَ
مذهبٌ أن ليس النظمُ شيئاً إلاَّ توخيَّ معاني النحو وأحكامه ووجهه وفروقه فيما
بيِّنَ معاني الكلم . وأنك قد تبيَّنتَ أنه إذا رُفِعَ معاني النحو وأحكامه مما
بينَ الكلمِ حتى لا تُرادَ فيها في جملةٍ ولا تفصيلٍ خرجت الكلم المنطوقُ ببعضها في
أثرٍ بعضٍ في البيتِ من الشعرِ والفصلِ من النَّثرِ عن أن يكونَ لكونها في مواضعها
التي وُضِعَتَ فيها مُوجبٌ ومُقتضٍ وعن أن يتصوَّرَ أن يقالَ في كلمة منها إنها
مرتبطةٌ بصاحبةٍ لها ومتعلِّقةٌ بها وكائنةٌ بسببِ منها وأنَّ حسنَ تصوُّركَ لذلك قد
ثبَّتَ فيه قَدَمَكَ وملاً من الثِّقةِ نفسك وباعدك من أن تحنَّ إلى الذي كنتَ عليه
وأن يجرُّكَ الإلفُ والاعتیادُ إليه وأنك جعلتَ ما قلناه نقشاً في صدركَ وأثبتتَهُ
في سويداءِ قلبكَ وصادقتَ بينه وبينَ نفسك . فإنَّ كانَ الأمرُ كما طناه رجونا أن
يصادفَ الذي نريدُ أن نستأنفَه بعونِ الله تعالى منك نيةً حسنةً تفيك المللَ ورغبةً
صادقةً تدفعُ عنكَ السأمَ وأرْوحيه يخفُّ معها عليك تعبُ الفِكْرِ وكدُّ النظرِ .
واللهُ تعالى وليُّ توفيقك وتوفيقنا بمنه وفضله . ونبدأ فنقول :

فإذا ثبتَ الآن أن لا شكَّ ولا مَرَّةً في أن ليس النظمُ شيئاً غيرَ توخيِّ معاني
النحو وأحكامه فيما بينَ معاني الكلم ثبتَ من ذلك أن طالبَ دليلِ الإعجازِ من
نظمِ القرآنِ إذا هو لم يطلبه في معاني النحو وأحكامه ووجهه وفروقه ولم
يعلمَ أنها معدَّةٌ ومعانه وموضعه ومكانه وأنه لا مُستنبطَ له سواها وأن لا وجهَ
لطلبه فيما عداها غارُ نفسه بالكاذبِ من الطامعِ ومُسْلَمٌ لها إلى الخُداعِ وأنه
إنَّ أبيضاً أن يكونَ فيها كان قد أبيضاً أن يكون القرآنُ معجزاً بنظمه ولازمه أن يُثبتَ
شيئاً آخرَ يكونُ معجزاً به وأنَّ يلحقَ بأصحابِ الصِّرفةِ